

جدل الحريات يتصاعد في القاهرة بعد انتحار ناشطة مصرية

المعارضة توظف انتحار سارة حجازي لتوجيه سهام النقد للنظام

أعدت حادثة انتحار الناشطة المصرية سارة حجازي ملف الحريات الفردية إلى الواجهة وسط انقسام الرأي العام المحلي والعربي حول توجهات حجازي المدافعة عن حقوق المثليين، وبينما أعرب الناشطون الحقوقيون اليساريون والليبراليون عن حزنهم على انتحارها، هاجم مدونون كثر المدافعين عنها معتبرين أن المثلية الجنسية تخالف تعاليم الدين الإسلامي، فيما استغلّت المعارضة الحادثة لتوجيه سهام النقد للنظام.

محمد أبو الفضل

القاهرة - لم تغب الحريات الشخصية عن أذهان الشعوب. قد تتصاعد أو تتراجع، لكنها تظل حاضرة. تختلف مساحة الحديث عنها باختلاف درجات التطور الحضاري والإنساني، وبالطبع السياسي، وتأخذ أشكالاً متباينة، حسب طبيعة القضية المطروحة، وتزداد تعقيداً عندما تتعلق بملفات تمس ثوابت وعتاد وتقاليد المجتمع.

تظهر ارتداداتها العنيفة كلما خرجت عن المألوف والنسق القيمي. فملف مثل الشذوذ الجنسي والمثلية، بات من الطبيعي مناقشته أمام الرأي العام في دول غربية عديدة، لكن الاقتراب منه في أي مجتمع محافظ يعد اقتراباً من أحد المحرمات التي تستنفر البعض للهجوم. فجر انتحار الناشطة المصرية سارة حجازي (30 سنة) في كندا في 13 من يونيو، هذه القضية، وشذذ البعض همتهم في الدفاع عنها كواحدة من الذين أبدوا تعاطفاً واضحاً مع المثليين، وأقدمت على تبني مواقف تصب في صالحهم خلال فترة وجودها في مصر، بينما شتم فريق آخر أكبر عن سواعده في مواجهة من تحدثوا عن الحريات لتبرير الدفاع عن المثلية.

تفسيرات متباينة

اختفت سارة وسط تشعب القضايا المصرية، حتى عادت سيرتها، المثلية والسياسية، عقب الإعلان عن خبر انتحارها قبل أيام. ويصرف النظر عن الظروف التي دفعته للخطوة، غير أنها تركت رسالة بخط يدها توجي بإحباطها وعدم قدرتها على الاستمرار في الحياة. تبارت التفسيرات في النوايا واسترجاع مواقف سياسية عدة سابقة. وصدرت بيانات حزبية أظهرت التعاطف معها وديورها عن الحريات الشخصية، ما أعاد ملف المثلية بواجهة سياسية ودينية، في وقت تراخمت فيه الملفات التي تمس الأمن القومي. وبعد فترة من الغياب عن التفاعل السياسي مع القضايا المصرية، طل محمد البرادعي، رئيس وكالة الطاقة الذرية الدولية، نائب رئيس الجمهورية في مصر سابقاً، وكتب على تويتر، قائلاً "قد تختلف مع سارة في تفكيرها وأسلوب حياتها، وهذا من حقه، لكن هل من حقه أن تضطهدها وتحاصر حقها في الحياة مجرد اختلافك معها ودون أن تفرض هي عليك تفكيرها أو أسلوب حياتها؟"

حادثة الانتحار تحولت من خلاف دينوي حول مدى الحريات الممنوحة وحدودها في مصر إلى قضية كفر وإيمان وإلحاد

ويدخل على الخط جهات دينية، منحت المسألة بعداً مثيراً، حيث تحولت من خلاف دينوي حول مدى الحريات الشخصية الممنوحة في مصر إلى قضية كفر وإيمان وإلحاد، وهنا تبارى البعض في تبرئة الفتاة الراحلة من هذه التهم، وصمم آخرون على أن جريمتها كبيرة، وتستحق التوقف عندها ووضع النقاط على الحروف. وتجاوز كثيرون عملية الانتحار وتوقيتها والظروف التي وقعت فيها ودلالاتها النفسية والاجتماعية، وتم



أغلال السياسة والمجتمع تكبل الحريات

كما أن أزمة محمد منير انطلقت من صفحته الشخصية عندما عرض فيديوهات لما قال إنه اعتداء أمني على حرمة منزله في غيابه، وليس لظهوره على قناة الجزيرة، الأمر الذي يجدها أيضاً فكرة الحريات الشخصية، ويجعلها إشكالية كبيرة تبحث عن حل في مصر وغيرها من الدول التي تعيش في ظروف سياسية مماثلة.

يعتقد البعض من الشباب أن مواصلة الضغوط في هذا الاتجاه سوف تجبر الحكومة المصرية على الاستجابة لمطالبهم في باب الحريات الخاصة والعامّة. وكان هذا الصخب يجلب تضامناً وتعاطفاً دوليين في عصر ما قبل كورونا، لكن مع كورونا وما بعده، ربما تتغير أمور كثيرة في الاتجاهين، السلبي والإيجابي. وفي الحالتين لن يتوقف الجدل حول الحريات الشخصية في مصر، لأن الهوية كبيرة بين المنادين بها وبين من يدهم تحديد بوصلتها، الأمر الذي يجعلها تتجدد كلما وجدت فرصة، وقد تنتقل من قضية على هامش الاهتمامات إلى مركزها.

هناك أخطاء عديدة تحتاج إلى إصلاحات هيكلية، غير أن لي أعناق بعض القضايا هو الذي يحدث التداخل والاشتباك، ويؤدي في النهاية إلى التصعيد الذي نراه يطفو ويخبو. كشفت واقعتا سارة ومنير أن هناك شرائح كبيرة منهكة في الشد والجذب، ومنصات التواصل الاجتماعي أصبحت الباب الملكي لتفريغ جانب معتبر من الشحنات الشخصية والسياسية في مصر، ومن الصعوبة السيطرة عليها أو ضبطها على مقاس الحكومة، مهما بلغت درجات التضييق على الحريات، لأن عبورها لم يعد صعباً في ظل التطور التكنولوجي، فالبعض يتعامل معها على أنها المنتدى أو "هايد بارك" الوحيد في الدول التي تفقر هامشاً جيداً للحريات السياسية والشخصية.

وبقدر المزايا التي تنطوي عليها، بقدر ما توفر من مساحات جذابة للجدل، فملف سارة حجازي، وقت الاعتقال والإفراج وبعد الانتحار، صعد إلى الزروة من خلال مواقع التواصل، وهي التي قادت الصخب في المرتين حولها. هناك جوانب أخرى أدت إلى هذه الخطوة ترتبط بالمضمون السياسي الذي حملته خطاب منير وتصرفاته الحادة على مواقع التواصل الاجتماعي، والتي تصب في صالح معارضي الحكومة دون أن يقصد. بمعنى أن حالة منير ليست لها علاقة بمكون الحرية الشخصية الذي يلقي فيه مع سارة، لكن وجه الشبه بينهما في فكرة التوظيف أو "التلبس" السياسي من قبل البعض، والذي يخرج قضية الحريات إلى فضاء آخر، فلم يقل أحد إن مصر تعيش أزهى عصور الديمقراطية، بالطبع

الارشيف لأغراض متباينة حالياً، وبين القبض على الصحافي المصري محمد منير، بعد ظهوره على قناة الجزيرة، تم حصر الموقف في الظهور فقط، مع أن هناك كثيرين يعيشون في مصر يفعلون ذلك، ويكتبون في وسائل إعلام قطرية وتركية، ولم تمارس عليهم ضغوط أو تم اعتقالهم.

ضغط على الحكومة

هؤلاء أيضاً هم الذين تباروا في الدفاع عن سارة وحققها في تبني ما تراه ضمن أطرها الشخصية، في إشارة تضمنت تلميحات بان حال الحريات العام في مصر ليس على ما يرام، وأن فكرة الدفاع عن قيم المجتمع ستار بيبج أحياناً التعتدي على بعض الحقوق، والتي تصل لحد توسيع دوائر الإشتباه، وتوقيف أعداد من الشباب، قالت منظمات حقوق إنسان دولية إنه كبير، بينما ردت الحكومة بأنه ليس كذلك، وتستعمل القانون في كل مرة. وربط البعض بين حالات تتعلق بالحريات الشخصية، وبين حالة سارة القديمة والتي أعيد استدعاؤها من

التأويل المتطرف للفقہ فہم داعشي يفتقد للرحمة

ويطلب الرحمة، وأن طلب الرحمة من الله حتى للشخص الذي لا يؤمن به لقناعاته الخاصة هو عمل إنساني، نطلب الرحمة لكل شخص يعاني في الحياة كسارة وغيرها، أو قدم منجزات للإنسانية كسنتين هوكينغ أو كان مناضلاً من أجل حقوق الإنسان كنيلسون مانديلا بغض النظر عن ديانتهم أو هل يؤمنون بالله أم لا".

محمد عبدالوهاب رفيفي
رفض الترحم على الناشطة سارة حجازي هو فہم داعشي للدين

إدريس الكنڨوري
سارة حجازي سقطت ضحية تجار الدين وذئاب السياسة

سعيد جعفر
هناك سوء تفسير للإيات في إسقاطها على حالات متناقضة

ويختتم بالقول "في المقابل لن اطلب الرحمة للبعدي أو كارازيدش الزعيم الصربي بعد موتها، لأنهما مجرمان إرهابيان".

الشديد القاسي المنتقم ليس هو إسلام الرسول محمد (ص) المعتدل الوسطي الرحيم وهؤلاء الذين يستقون على الضعفاء بجهنوتهم المرتجف والباطل والمذمى ليسوا من هذا الإسلام الجميل في شيء".

وأوضح سعيد جعفر أن خطأ تفسير للإيات القرآنية والتعسف في إسقاطها على حالات مختلفة ومتناقضة، يجعل الآية تأخذ أكثر من دلالة وفي بعض الحالات دلالات ومعاني متضادة، مع أن لكل آية في القرآن الكريم أسباب نزول خاصة بها ولا تنسحب على غيرها من الآيات إلا من باب المغزى.

من جهته، علق الباحث المغربي في الفكر الإسلامي محمد عبدالوهاب رفيفي، بأن رفض الترحم على الناشطة الحقوقية سارة حجازي هو فہم داعشي للدين لا يختلف كثيراً عن أولئك الذي يسارعون إلى الترحم على الإرهابيين والقتلة باسم الدين.

ولاحظ رفيفي أن فكرة التمييز بين البشر حتى في الدعاء بالرحمة بعد الموت هي فكرة قائمة على الاعتقاد بان المسلمين أفضل من غيرهم، وأنهم وحدهم يستحقون الرحمة، وأن الجنة حصرياً لهم وأن غيرهم في النار، وهذا الإحساس بالعلوية والتمييز على البشر هو نفس فكرة داعش في قتل غير المسلمين.

إن الأمر الطبيعي هو أن "الإنسان عندما يسمع بموت أو ماساة يتالم

ثقافة سائدة رسختها سياسة تعليمية ليست من هذا العصر، كما رسختها لغة التخوين والتكفير والتجريم.

سارة حجازي، يشير سعيد جعفر، الباحث المغربي في سوسولوجيا الدين، إلى أن "هذا الإسلام الغليظ

المنظومة العقائدية ككل، أمام رفض الكثرين الترحم على الراحلة. وقد اعترض البعض على الإراء التي تدافع عن سارة حجازي ويزروا ما حل بها لأنها تدافع عن الشذوذ والإلحاد. وحسب الكاتب والشاعر اللبناني، عيسى مخلوف، تعكس هذه الردود

يتلقون ثمننا مقابل التحريض عليه، ويتقاضون عمولة عن كل شخص أقتنعه بالخلي عن دينه، فاصطدمت بالواقع المر والعزلة وتنكر الجميع لها، لتختار الانتحار. ومما لا شك فيه إن حادثة انتحار حجازي يختبر الجانب الأخلاقي في



الدماء تسيل عندما تتراجع الرحمة